

تفسير البغوي

65 - قوله تعالى : { ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت } أي جازوا الحد وأصل السبت : القطع قيل : سمي يوم السبت بذلك لأن الله تعالى قطع فيه الخلق وقيل لأن اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال والقصة فيه : أنهم كانوا زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرج خراطيمهم من الماء لأنها حتى لا يرى الماء من كثرتها فإذا مضى السبت تغرقن ولزمن مقل البحر فلا يرى شيء منها فذلك قوله تعالى { إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لا تأتيهم } (163 - الأعراف) .

ثم إن الشيطان وسوس إليهم وقال : إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منها إليها الأنهار فإذا كانت عشية الجمعة فتحو تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعدها وعمقها وقلة مائها فإذا كان يوم الأحد أخذوها وقيل : كانوا يسوقون الحيتان إلى (الحياض) يوم السبت ولا يأخذونها ثم يأخذوها يوم الأحد وقيل : كانوا ينصبون الحبال والشخوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل عليهم عقوبة فتجرؤوا على الذنب وقالوا : ما نرى السبت إلا وقد أحل لنا فأخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا واشتروا وكثر مالهم فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكان نحو من سبعين ألفا ثلاثة أصناف : صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهك الحرمة وكان الناهون اثني عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول نصحتهم قالوا : والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار وعبروا بذلك سنتين فلعنهم داود عليه السلام وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الحائط فإذا هم جميعا قردة لها أذنان يتعاونون قال قتادة : صار الشبان قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ ثلاثة أيام ولم يتوالدوا .

قال الله تعالى : { فقلنا لهم كونوا قردة } أمر تحويل وتكوين { خاسئين } مبعدين مطرودين وقيل : فيه تقديم وتأخير أي كونوا خاسئين قردة ولذلك لم يقل خاسئات والخسأ الطرد والإبعاد وهو لازم ومتعد يقال : خسأته خسأ فخسأ خسوءا مثل : رجعت رجعا فرجع رجوعا